

أَجُودَ مَجْبِلِ الْخَفَاجِي

رِحْلَةُ الْوَالِدِ السَّوْمَرِيِّ  
شِعْرٌ

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

٢٠٠٠

الحقوق كافة  
محفوظة  
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: E-mail : [unecriv@net.sy](mailto:unecriv@net.sy)

[aru@net.sy](mailto:aru@net.sy)

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت

<http://www.awu-dam.com>

၄၄

- ၃ -

الإهداء

إليها

إلى أيامنا المضمفورة معاً  
إلى العراق رقيم الشغف الخالد  
حيثُ كُتِبَتْ أَوَّلُ قَصِيدَةِ حُبِّ

أجود

\* \* \*

- 6 -



## سَمْرَاءُ

سَمْرَاءُ إِنَّ الشُّوقَ يَحْمِلُنِي طَيْرًا إِلَيْكَ بِقَلْبِهِ طَارَا  
أَنَا لَا أَمْلُكَ يَا قُرْنُفَلْتِي أَرَأَيْتِ نَهْرًا مَلَّ أَزْهَارًا؟  
كَمْ كُنْتُ لَا مَأْوَى أَلُوذُ بِهِ فَوَجَدْتُ فِي عَيْنِكَ لِي دَارَا  
إِذْ جِئْتِي يَوْمًا عَلَى قَدَرٍ وَالْحَبُّ قَدْ يَنْسَاقُ أَقْدَارَا

\*\*\*

نيسان ۱۹۸۵.

## رَحْلَةُ الْوَلَدِ السَّوْمَرِيِّ

تَبَارَكْتَ يَا أَيُّهَا السَّوْمَرِيُّ،  
وَطُوبَى لِمَا يَتَساقَطُ مِنْ شَجَرِ الْأَرْجَوَانِ عَلَيْكَ  
إِلَى أَيْنَ تَمْضِي؟  
وَأَيُّ رَصِيفٍ سَيُعْشَبُ مِنْ دَمْعَتَيْكَ؟  
وَكُلُّ الدَّرُوبِ مَفْخَخَةٌ،  
وَالسَّوَاهِلُ تَرْتَابُ مِنْ قَمَرٍ مَاتَ بَيْنَ يَدَيْكَ

\*\*\*

سَتَبْرُغُ دُونَ سَمَاءٍ،  
وَتَجْلِسُ مُرْتَبِكًا فِي الْعِشَاءِ الْأَخِيرِ  
تُوزَّعُ أَخْتَامُكَ الْعَدَمِيَّةَ  
لِلْفَائِضِينَ عَنِ السَّيْفِ،  
وَالخَارِجِينَ عَلَى بَصَمَاتِ الْأَمِيرِ

تفتَحُ أزرارَ كلِّ السواقي ،  
وتهتف بين زجاج المكاتب، بين المطارات  
ألا فارفعوا قبعاكمُ عالياً بالتحيةِ إني الأميرُ  
\* \* \*

تباركتَ كم كنتَ مُنشغفاً بالنهايةِ،  
كم أفلتتُ منك أندلسُ؛  
واتكأتَ على سورِ غرناطةٍ وبكيتُ  
وسدَّ ملوكُ الطوائفِ  
كلَّ الدروبِ عليكِ فراوغتهمُ ومضيتُ  
خذُ الريحَ تعويذةً أيها المطريُّ؛  
فإنَّ النبوءةَ تبدأ من قدميكِ  
\* \* \*

تلوِّثَ جمرُك بالبردِ فلتسترخِ،  
ولتدفيءِ يديك بياسِ الغيومِ  
مُتقبِّلاً بالشظايا  
وكنْ حذراً يا صديقَ المرأيا  
لبعضِ النوارسِ تقتربُ الشرفاتُ  
وما يتبقى يفتنهُ الموجُ والزبدُ المُستريبُ  
لبعضِ السفائنِ  
ما يذخرُ البحرُ من جزرٍ لا تُكرَّرُ،

والقاعُ منفضةٌ للبقايا  
فإياك أن تغمضَ القلبَ،  
في ليلِ عاصمةٍ لم تبايعك،  
إياك يا سؤمريٍّ لغيرِ هواك تُشيرُ  
فأنتَ الذي قد رأيتُ  
وجبتَ البلادَ تفتشُ عن عُشبةٍ وسماءٍ وبيتٍ  
وأرشدتَ دجلةَ نحو مَصبِّ الفراتِ  
وظلكَ بين المصايحِ  
يَشْحَبُ..... يَشْحَبُ..... ثم يَغِيبُ  
تُوثِقُ ما سَوْفَ يُنسى من الحزنِ،  
بين الوُعولِ التي أَكَلَتْ عُشْبَهَا السُّرْفَاتُ  
وطفلٍ بإحدى مَدارسِ (أوروك) يبكي،  
يضمُّ أصابعَهُ اللَّبَنِيَّةَ مُنْطَفِئاً  
ثم يَكْتُبُ:  
ماتَ أبي في الهوائِ الغريبِ.

\*\*\*

تباركتَ حينَ تُراوِدُ سُوْقَ عُكاظِ،  
بحرفٍ تَشْرَدُ من أبجديتهِ،  
ومُعَلِّقَةً لم تَجِدْ من يُعَلِّقُهَا

تُرَاوِدُ (سوقَ الشيوخ) <sup>(١)</sup>  
على حَجَرٍ يَتَضَاعَنُ ، أو خَنْجَرٍ يَتَطَامَنُ ،  
والأُمُسياتُ تَضِيحُ كَقَافِلَةَ فِي طَرِيقِ الحَرِيرِ  
مَوَاعِيدُ لِلنَّايِ فِي شَفْتَيْكَ  
وحزَنُ سُنُونُوءَ لَا تَطِيرُ  
تمرُّ على سَفْنِ اللّيلِ  
ذَاكِرَةً شَمَسَتْهَا الطُّفُولَةُ ،  
والنرجسُ الصَّعْبُ ،  
إِذْ يَتَحَفَّى على زُرْقَةِ الانتباهِ  
وتَغْرِيبَةُ الذَّهَبِ المَتَوَرِّقِ بَيْنَ العَرَائِنِ ،  
فِي ذُرُوءَةِ الخَجَلِ المَوْسِمِيِّ  
تُقَطِّرُهُ اللَّافِتَاتُ  
على ما تَرَآكَمَ من تَعَبٍ فِي المِيَاهِ  
دموعُكَ تَنَدَسُّ بَيْنَ خُطَى عَاشِقَيْنِ ؛  
يَغْطِيهِمَا اللَّيْلُ بِالبَهَجَاتِ  
وَأَنْتَ على غَسَقِ الصَّفْرِ تَغْفُو وَحِيداً ،  
تَدُقُّ يَدَاكَ على أَفْقٍ لَا تَرَاهُ  
وَأَغْصَانُ صَوْتِكَ تَدَّهَسُهَا الشَّاحِنَاتُ

<sup>(١)</sup> سوق الشيوخ: مدينة الشاعر في جنوب العراق، وهي مدينة سومرية قديمة، كان اسمها في اللغة السومرية (سوق ماروسي)، أي سوق الحكيم.

تباركت يا سؤمري،  
فلا جهة غير وجهك حين تضيع الجهات

تشرين الأول ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

## ضُمورُ الأَمَكِنَة

بفمٍ مُوجَزٍ سأعترفُ  
وسنينٍ  
في السهوِ تُقترفُ  
أنا من فاضتِ الكُشوفُ بهِ وأنا من أضاءهُ  
التلفُ  
لايساً بَرَقَ قُبلةُ خَفَقَتِ نَسِيئِها  
شفاهُ من حُدِفوا  
حاملاً بَهْجَةَ السفرجلِ  
لم يَرْتَبِكْ في أَصابعي الخَرْفُ  
أبنتي في الهشيمِ  
أرُوقَةً

ومن اللامكان أًغترفُ  
ومُلماً بشكِّ بوصولِ مع كلِّ البحارِ  
تخْتلفُ

كنتُ أعدُو مموهاً عَدَمِي  
حيثُ لا ملجأً.....ومُنْعطفُ

ألمدى في راكضُ،  
وعلى شفتي اللغاتُ تتجرفُ  
كي أفكُّ السُدولَ  
مُنتحلاً حُلماً في الأريزِ يرتجفُ  
لي أرضُ

تفهرستُ بدم، ونداماي من بها نزفوا  
خدشَتْها القُبورُ ذاتَ ضُحَى  
ومشَتْ

في ربيعها السُرفُ<sup>(٢)</sup>  
تقبَّتْها

أظلافُ عاصفةُ  
عن رنينِ النهارِ تتحرفُ  
يا فيوضَ الهباءِ،

(٢) السرف: عجالات الدبابات جمع سُرفة وتُجمع سُرفات أيضاً.

ها أنذا كمياه الطقوس أنذرفُ  
لم يُكللُ غزرتي أفقُ  
أو يُهددُ حقائبي هدَفُ  
هَنَفَتُ خلفي السهولُ هوىً والمريدونَ كلهمُ  
هَنَفُوا:

أيها المُستتيرُ،  
لا جهةً وجدُ عينيكَ عندها يقِفُ  
جَفَّتْ صوتكُ الرماحُ  
وما زالَ يرتادُ ليلكُ الشغفُ  
تحتَ جلدِ النشوبِ .. مُنكَبُ  
وبمجدِ السيولِ ... مُنخطفُ  
والفداحاتُ أنتَ مشجِبُها  
فمتى

يحتفي بك الترفُ؟  
قلتُ:

يا أهلي الذينَ علّوا قلَقاً حينَ هوَمَ السعَفُ  
واختفوا في البزوغِ،  
فاقتروا شمسهمُ والجهاتُ تنكسفُ  
فوقَ تذكاركُمُ سفحتُ،  
وهلُ

يَتَنَاسَى شَطَانَهُ الصَّدْفُ؟  
رَيْثَهُ هَذِهِ الدَّرُوبُ،  
وَذَا هَجَسُنَا  
فِي الْعِرَاءِ مُنْكَشِفُ  
سَكَبَتْنَا الرِّيَاحُ  
أُمْنِيَةً يَنْلَهَى بِمَحْوِهَا الشَّظْفُ  
غَيْرَ أَنَا  
وَإِنْ كَبَا فَرَحُ،  
فِي عَرِينِ الْغِيَابِ نَأْتَفُ  
نَتَمَاهِي بِكُلِّ نَافِذَةٍ،  
نَقَطُفُ الْمُنتَهَى  
وَنَقَطُفُ

حزيران ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

## دُروسٌ في التلعثم

سُحِبُ مُزَوَّرَةٌ  
تمرُّ على أنينِ الروحِ،  
تتهبُّ ما تبقى من ملامحنا القديمة،  
تحملُ السرَّ المؤدي  
لانتراضِ سلالَةِ المطرِ الجديدِ،  
تُقايضُ الأزرارَ وقتاً  
للتكسرِ تحتِ مطرقةِ النشيدِ،  
يُرتقُّ الصَّدئونَ سرِّوَالاً من الفوضى،  
زواحفُ تستعيرُ الرقصَ،  
والجملَ الأنيقةَ،  
تتحني اللحظاتُ تحتَ تفسُّخِ النسيانِ

مَكْنَسَةً لِكُلِّ الْعَابِرِينَ  
عَلَى شَوَارِعَ يَنْتَهِي فِيهَا سُطُوعُ حَنِينِهِمْ،  
أَنْتِ الَّتِي صَلَبْتَ يَدِيَّ عَلَى هَوَاهَا،  
هَلِ رَأَيْتِ النَّابِتِينَ عَلَى خِرَابِي؟  
هَلِ سَمِعْتَ بِمَا تَقِيَّاهُ الصَّبَاحُ الْمَعْدِنِيَّ عَلَى ثِيَابِي؟  
كُنْتُ مَطْعُونًا بِحُزْنِ مَجْرَتَيْنِ،  
وَنَاقَتِي لِلآنِ  
تَقْتَرِحُ الْبِدَاوَةَ فِي ثُقُوبِ اللَّيْلِ،  
هَلِ تَتَذَكَّرِينَ مَسَافَةً  
خَلْفَ الْمَسَامِيرِ الْمُدَانَةَ بِالتَّوَعُّلِ؟  
إِذْ تَرَهَّلْتَ الْقُبُورُ عَجِينَةً لِلصَّمْتِ،  
كُنْتُ تَقْمَطِينَ طِفُولَتِي  
بِضَفَائِرِ الْعَشْقِ الْمُوَبَّدِ وَالْأَغَانِي  
لَمْ تَعْرِفِي مَا كَانَ تَحْتَ وَسَادَتِي الزَّرْقَاءِ  
مَنْ جُرَّرِ الدِّخَانَ  
لَمْ تَعْرِفِي أَنَّ الْمَكَانَ مُحَاصِرٌ  
بِالْأَمْكَانِ  
أَنْتِ الْمُقَامَةَ فِي سَوَالِ طَافِرٍ خَلْفَ السَّكُوتِ،  
سَيَقْتَفِيكَ الصَّالِبُونَ،  
وَيَخْبِرُ النِّكَرَاتُ رَغَوَتَهُمْ،

وتختزلُ السقوفُ عيونَ مَنْ ركضوا  
إلى قمرٍ ينزُّ به الظلامُ؛  
فأسرعي.. وتوزَّعي حطباً شجاعاً  
في المداراتِ الرديئةِ،  
للفؤوسِ كرامةِ الصِّفافِ؛  
والمُتهدِّمونَ على قُلنُسوةِ المُهرِّجِ؛  
جاوريني تحتَ نافذةِ القيامةِ  
حيثُ يكتملُ التقوُّسُ في حذاءِ الوقتِ،  
والأطفالُ ينكسرونُ كالأقداحِ،  
يا بدءَ المسيرِ إلى غيابي،  
هاقد اعترفتِ سجانرُ قاتليكَ،  
وهذه الأفعالُ واقفةٌ على الفرَحِ المجفَّفِ،  
حدَّقِي في وجهي المرتدِّ عن دَبقِ التراكمِ،  
وامنحيني في عُقوقِ الرِّيحِ إسماءَ  
لا تفسرُهُ الشقوقُ؛  
لكي أضمدَ ضحكةً عبرتَ عليها الشاحناتُ  
على طريقٍ لا تُشيرُ إلى بهائِكَ؛  
إنني أُهديكَ شكاً واثقاً؛  
أو هدهداً يأتي بلا نَبأٍ يقينِ  
حين يدخِرُ العراءُ

عويله،  
أنت الكشيفة للئمور  
فتنبهي،  
وتبرئي من صوتك الملقى،  
ومن قدمين لا تتأخيان على العبور

آب ١٩٩١  
النجف

\*\*\*

## عَراءُ المُريدِ

بكلِّ الفوانيسِ  
قلبي ينامُ  
إذا افترسَ العابرينَ الظلامُ  
ليَ البحرُ  
قبلَ اشتقاقِ المياهِ،  
وليَ قبيلَ كلِّ اللغاتِ كلامُ  
ليَ النارُ،  
والحجرُ المُستتيرُ،  
وبي من ذُيوعِ الهجيرِ  
احتدامُ  
على قَدَميَّ اندلاعِ المسيرِ،

فكيفَ  
على الطُّرُقَاتِ الأُمِّ؟  
بوجهي  
تنبَّأتِ القَبَضَاتُ،  
وَأَسْلَمَنِي للوراءِ  
الأمامُ  
مَشاوِيرُ تجلِّدُها العَتمَاتُ فيُتَقَبُّ شَهْرٌ،  
ويُكسَّرُ عامٌ  
وأنتِ التي تَشْتَهِيها الطُّقُوسُ،  
ويركُضُ  
خلفَ خُطاها الغمامُ  
وتغفو الفِراشَاتُ  
في حِجْرِها، ويلهَثُ في كَنَفِها الرِخامُ  
إذا  
قَبَلتِ شِفْتَكَ انتِظاري،  
تُقبَلُ بَغدادَ في العِشقِ  
شامُ  
صلاةٌ من الوَلِهِ النيزِكيِّ  
على أَلْفِ جُوعِ إِلَيْكَ  
تُقَامُ

أنا خيمةٌ تحتفي بالرياح،  
وهل تتكرُّ الريح يوماً  
خيامُ؟  
تبوّأتُ عنفَ الشراكِ زماناً،  
ورمّمتُ من المحوِ  
مالاً يُرامُ  
دعيني  
أقبلُكَ تحتَ الشتاءِ،  
فمالي عن شفّتكِ صيامُ  
خُذيني لصدركِ  
طيراً غريباً،  
ومن حوله للرّمةِ زحامُ  
خُذيني بكفّكِ نايماً،  
تأخّتِ حروبٌ على حُزنيهِ، وسلامُ  
حكاياتهُ  
نهشتها الشّظايا،  
وأحلامهُ البيضُ أرضُ حرامُ

آذار ١٩٩٩

دمشق

\*\*\*

## مَرثِيَّةُ الجسر

(إلى جسر (سوق الشيوخ)  
الذي كسرتَه الطائرات)

يا أَيُّها الممتدُّ بينَ ظهيرتَيْنِ،  
جمعتُ أتربتي وجئتُ إلى غيابِكِ  
حيثُ لا أحدٌ هنا غيرَ الحديدِ  
يمدُّ أشرطةً من الفوضى،  
ويُمعنُ في اغتصابِكِ  
كنتِ وحدَكِ  
إذْ تَدَحْرَجَتِ الجهاتُ شريدةً،  
وانساحتِ اللحظاتُ  
تحتِ دخانٍ مَنْ عَبَرُوا لِقبرِكِ،

فاتكأتُ على جدار أِينَعَتْ فيه الشِراسَةُ  
كي أُرْتَقَ ما اسْتَطَعْتُ من القَبائلِ،  
كي أُسْمِيَ مَوْنَكَ العَجْرِيَّ  
تَكْمَلَةً لعشِقِ كَرَسْتَهُ خُلَاصَةً بِيضَاءُ  
في النهرِ المُغَادِرِ نَحْوَ صَمْتِكَ  
والنوارِسُ أَغْلَقْتُ شَبَاكَهَا المَائِيَّ،  
وانتظرتُ رَمَادَكَ أَنْ يَعْلَمَهَا البُكَاءُ،  
نَشَرْتُ كُلَّ دَمِي لِأَسْأَلَ عَنْكَ،  
أَعْلَنْتُ الطُفُولَةَ  
من حِذاءِ بَارِكْتَهُ الرِيحُ،  
يا وَجْهِي المَفْكَكَ،  
يا عُبَارَ أَصَابِعِي،  
كم كُنْتُ أَقْتَرِفُ التَّشْبِيثَ فَيْكَ  
مُقْتَنِيًّا عُبُورَكَ،  
والتَّمْرُدَ في هَوَاكَ،  
أَمْدُ نَحْوِكَ  
ما تَوَفَّرَ في يَدِي مِنَ الشُّوَارِعِ،  
ما تَخْتَرَّ في سَمَائِي من طَيُورِ،  
أَدَّعِي مَطْرًا بَهِيًّا لَا تُرَاوِعُهُ الفِصُولُ،  
أُلاصِقُ الأَسْمَاءَ،

أستجدي حضورك  
حين يرتكبُ الخرابُ نشيدَهُ،  
سألمُ صوتكَ فانتظرني  
عند زاوية  
تراوُدُها النُّهاراتُ الفسيحةُ،  
سوف أشرُّ خيبتِي ضفتينِ  
تُحترقانِ عشقكَ كالبداهةِ،  
كالتعاويزِ القديمةِ،  
حين تسترخي مُمزقةً عليكِ  
هذا فمي مُدنٌ تُحاصرُها المياهُ  
وتلك أسئلتي بغربتها تحجُّ إليكِ

تشرين الثاني ١٩٩٣  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## بَرِيدُ الْحَاوِبِ

مِثْلَ رَمِيمِ الضَّوءِ يَنْهَدُ  
مُعْشَوِشِبَا  
أَرْجَهُ السُّهْدُ  
مُكَفَفَا خُطَاهُ  
عَنْ جَنَّةٍ لَمْ تَنْسَهُ دَرُوبُهَا بَعْدُ  
نَوْمٌ صَغِيرٌ كَانَ فِي جَيْبِهِ وَنَجْمَةٌ  
أُزْرِي بِهَا الْبَرْدُ  
وَحُرْنُهُ الْغَفِيرُ فَانُوسُهُ؛  
إِذْ حَوْلَهُ النَّهَارُ  
يَرْتَدُّ

تَشَجَّنَ الْبَرْقُ

على بابه،

ونام في جبينه الرعدُ

مفتتاً بكوثرِ غامضٍ

يَهْرُ أَرْجَوَانُهُ

بُعْدُ

تَجِيئُهُ الْبِلَادُ

مَسْفُوكَةً فِي نُورِ سِ

يَلْهُو بِهِ الْمَدُّ

فِيغْمَدُ الْوَصُولُ

في جمرة؛

مِنْ حَوْلِهَا تَنْثَرُ الْفَقْدُ

وكلُّ أرضٍ هي دربٌ

إلى عِراقِهِ الْبَعِيدِ تَمْتَدُّ

شَمِيمُهُ

ما زال في روحه،

ومن فراتيه له شَهْدُ

يَنْدَعْمُ النَخِيلُ

في صوته،

وَأَلْفُ عَصْفُورٍ  
بِهِ يَشْدُو  
هُوَ الَّذِي اغْرورِقَ فِيهِ الضحى؛  
وَبَعْدَهُ  
تَوَعَّرَ الْوَرْدُ  
يُشَاغِفُ الْحُدُوسَ  
مُسْتَوْحِداً،  
مِنْ خَلْفِهِ نِيَازِكٌ  
تَعْدُو  
وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَى (حَوَابٍ) تَتَبَحُّهُ الْكِلَابُ  
وَالجُنْدُ  
قَالَ: اتَّبِعُونِي يَا سُكَّارِي  
إِذَا أَفْقَرَ صَوْتُ،  
وَانْحَنَى وَجْدُ  
فَنَحْنُ لِلآتِينَ تَلْوِيحَةٌ،  
وَفِي فَرَاغٍ بَائِدٍ  
حَسْدُ  
يَا سَيِّدِي النَّدِيمَ،  
مَهْجُورَةٌ أَيَّامُنَا وَالرَّيْحُ تَشْتَدُّ

فَلْتَسْقِنَا صِرْفًا،  
وَلَا تَلْتَفِتْ،  
قَدْ سَكَرَ الصَّيَادُ وَالصَّيْدُ  
وَلْتَشْرِقِ الْكَأْسُ عَلَيَّ ظِلْمًا، فَالْعَمْرُ سَهْوٌ،  
وَالْمَدَى كَيْدٌ  
لَيْلَتُنَا  
(تَسْلَفَنْتُ) بِالْأَسَى؛  
وَدُونَ مَنْ هَمْنَا بِهِ  
سَدُّ  
هَوَاؤُنَا  
كَمَائِنُ مَرَّةً،  
وَرَاءَهَا  
تَبْرِجَ الْقَيْدُ  
فِي غَيْبِ الْعَشِقِ التَّقِينَا بِلَا خُطْيٍ،  
وَآخَى ضِدَّهُ الضُّدُّ  
نَقْتَرِضُ السَّمَاءَ مِنْ كُوَّةٍ،  
لَعَلَّ مِنْهَا أَفْقًا  
يَبْدُو  
فَكُلُّ مَا نَعْنِيهِ

مُسْتَوْحِشٌ،  
وَقَصْدُنَا لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ  
إِنْ نَحْتَرِقُ، نُؤَلِّدُ حَفِيفًا،  
وَإِنْ نَأْتِ بِبَلَاءٍ وَعْدٌ،  
هُوَ الْوَعْدُ

أيلول ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

## إلى فيروز... وحجرٍ آخر

كرائحة الطلع،  
إذ تتنامى خيوطَ اشتهاةٍ  
كأشْرعةِ السفنِ المرْمِريةِ،  
حين يُثيرُ فراقُ المرافئِ  
رَغْبَتَهَا في البكاءِ  
تعنِّينَ لي في ازدحامِ الينابيعِ  
سُرْبَ لُحونِ تمرِّدَ ذاتِ صباحِ  
لنتكئِ الشمسُ نائِرةً شَعْرَهَا القَرْمُزِيَّ  
على قريةٍ في الجنوبِ  
يُدَاهِمُهَا جَذَلُ العائدينِ  
لأرصفةٍ تحنُّفي بذويها قُبيلَ الغروبِ

\*\*\*

لُهاثُ المزاميرِ  
يَهْمِي دَفِيناً عَلَى شَفْتَيْكَ مُعْنَى،  
لَهُ شَكْلُ حَزْنِي،  
وَتلكَ اللَّيالي القَتِيلَةَ  
"ليالٍ" كما البَحْرِ مَمطُورَةً بِالغِناءِ  
يُهدِّدُها مِعزَفٌ وَجَدِيلَةٌ

\*\*\*

تَمْرِينٌ فَوْقَ احْتِراقِي الكَبيرِ  
أَحاديثٌ مَرُوحَةٌ  
وَطُيوراً تَحَبُّيُّ أَشياءَها  
فِي كُرُومِ السَّماءِ  
تَخْطُبُنَّ فِي شَجَرِ الحُورِ اسْمِي،  
فَأَملاً ذاکِرتِي  
مَنْ نَعاسِ مُسافِرَةٍ فِي قِطارِ المِساءِ  
وَأَتْلُو عَلَيْكَ اعْتِرافِي الأَخيرِ

حزيران ١٩٨٨

بعقوبة

\* \* \*

- ३१ -

## آخِرُ مَقَامَاتِ الْحَلَاكِ

على جسدي وقفتُ،  
فصرتُ ظلاً  
وقايضني حضورُ الفقدِ شكلاً  
فقلتُ لصاحبي:  
كيف الصحارى تُفسرُ هجسنا المائيَّ  
رَمَلاً؟  
تداولنا الهبوبُ بها  
غُموضاً،  
وحملنا  
هواءً مُضمحلاً  
تسيلُ وجوهنا فوقَ المرابيا،

ويجرُّفنا الهباءُ الفذُّ  
سيِّلا  
وتحتَ  
وُعُورَةَ الأشياءِ نَبكي؛  
لعلَّ غروبنا... يلتئمُ نخلا  
ترتسُّنا الفيوضُ  
مَقامَ عشقٍ؛  
ونُدخلُ...  
في حَفيفِ الوجدِ نصِّلا  
بلا زمنٍ،  
ودُونِ مَدَى نغنيِّ،  
فنسقطُ  
في نُبوغِ السكرِ قَتلى  
إلى أينَ المسيرُ؟  
وقد تَرَكنَّا  
وراءَ أُنَاقَةِ العَنَمَاتِ أهْلا  
هُمُّ الشَّغفِ الكَبيرِ،  
وكلُّ دربٍ لغيرِ سَخائِهِمْ  
سيكونُ بُخْلا  
رحيلُ

لا يُبَلِّغُهُ لِقَاءً،  
ولا تَرَجُو لَهُ السَّنَوَاتُ  
وَصَلَا  
سِوَى التَّنْكَارِ  
-حِينَ يَجْفُ أَفْقُ-  
يَمُرُّ عَلَى أَنْبِيِ الرُّوحِ طَلًّا  
هَنَّاكَ  
عَلَى فَمِي الْقُبَلَاتُ أَشْهَى؛  
وَفِي أذُنِي طَعْمُ الرِّيحِ  
أَحْلَى  
بِلا قَدَمِ  
أَسِيرُ إِلَى بَرْوَعِي،  
إِذَا قَدَمٌ أَرَادَتْ أَنْ تَزَلَّ  
وَكَانَ عَلَى بِياضِ السِّيفِ  
وَقْتُ،  
تَوْضَاءً مِنْهُ إِيمَانِي،  
وَصَلَّى  
فِيَا جَدَلَ الْمَشَاةِ إِلَى هَوَاهِمِ، تَلَمَّسُ غِبْطَتِي،  
فَالرُّوحُ جُدْلِي  
وَكَنْ أَمَلًا أَتُوبُ عَلَى يَدَيْهِ،

فيأسُ مراكبي  
ما عادَ طفلاً  
سيكفيني من البهجاتِ  
برقُ؛  
لأصرُخَ في عرينِ الصمتِ:  
كلاً

ويوقدُ وحشتي  
أيُّ انتباهٍ إلى امرأةٍ  
تمرُّ عليَّ عَجَلِي  
سيُخفيها الظلامُ بألفِ سرِّ،  
ويتركُني  
ببابِ الليلِ... قفلاً  
أنا الرائي الذي حدّستهُ أرضُ،  
وأينعَ فيه  
زهرُ الصحورِ... هوَلاً!  
أنا الوطنُ الذي اختزلَ المرآثي بقامتِهِ،  
ومن دمه تدلّي  
فكم خضناً معاً  
ماءٌ ضريراً؛  
وكم مسّحتُ عن قديمه وحلاً

وكم نمنا  
على شطف الأمانى،  
نراوغ دونها الموت المظلاً  
فيا امرأة،  
ترش رشك السواقى،  
وتزدهر الأئونة فيك  
حقلاً  
تعالى،  
حين يغشى الليل اسمي؛  
فرائحة البلاد  
تجيء ليلاً

أيار ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

## سَيِّدَةُ الْجُدْرَانِ

حِينَ يَصِيرُ الدُّورِقُ  
زِنْرَانَةً عَطِرًا،  
وَيُقَطَّبُ أَلْفُ جِدَارٍ  
حِينَ تُحِيطُ الْأَسْلَاكُ بِقَطْرَةِ مَاءٍ  
كَفَرَتْ بِالْأَنْهَارِ  
تَأْتِي سَيِّدَةُ الْجُدْرَانِ  
تَتَعَرَّى... تَلَهَثُ كَاللَّيْمُونِ،  
تُقِيمُ عَلَى مَنْفُضَةِ التَّبَعِ... صَلَاةَ دُخَانٍ  
وَتُرِيقُ أُنُوثَةَ كُلِّ نِسَاءِ الْأَرْضِ  
عَلَى شَفْتِي،  
فِيكَتْظُ بِرُوحِي شَبَقٌ كَوْنِي،

وتُضِيءُ دُرُوبُ دَمِي،

أَتَهَافَتُ مُحْتَرِقًا بِالْأَمْطَارِ

\*\*\*

سَيِّدَةَ الْجَدْرَانِ سَلَامًا... يَا عِشْتَارُ

أيار ١٩٨٨

بعقوبة

\*\*\*

## تضاريسُ أولى

سؤالٌ على كَفَنِ البلبِلِ  
وَإِيمَاءَةً  
من دمٍ أَعَزَلِ  
وَدَمْعُ الخيولِ  
قُبَيْلَ الرّحيلِ،  
وَأَسْئَلَةً  
بَعْدُ لَمْ تُسألِ  
تِيَمَّمْتُ مِنْهَا تُراباً طَهوراً،  
وَأَهْدَيْتُ مائِ  
إِلَى الجَدولِ  
سَفَحْتُ عَلَيْهَا  
نوافيرَ حُزني... وَصَلَّيْتُ

في سرِّها المُقفلِ  
وغادرتُها  
مثلَ قَبْرِ جريحِ أَلَمَّتْ به طَعْنَةُ المِعْوَلِ  
أنا

من تضاريسِ تلكَ الليالي،  
ووجهٌ من الزمنِ الأوَّلِ  
نشرتُ صليبي على غيمةٍ،  
وأدركتُ أنَّ المَدَى  
ليسَ لي  
تبعثرتُ بين السنابلِ  
دمعاً؛

وداهمني  
شبحُ المنجلِ  
دَعَتني الجذورُ إلى عرسِها؛  
فأوغلتُ

في طينها المُنتقلِ  
وأنتِ ابتداءُ الطريقِ الكبيرِ،  
ومجدُّ الطفولةِ  
والمنزِلِ  
مساءً اتنا

لجَّ فيها الرمادُ؛  
وصوتكُ للآنَ  
لم يهطلُ  
فتحننا نوافذنا... وانتظرنا  
ليأتيَ  
فجرُ الغدِ الأجمَلِ  
فلم يأتِ  
إلا الرصيفُ القديمُ،  
وخارطةُ العدمِ المُقبلِ  
يُقايسُنَا الوقتَ  
أسْمالَهُ؛  
ففقزُ  
من دَمِنَا المُهْمَلِ  
ستقتلنا  
كلُّ هذي الرياحِ؛  
فقومي نصفِ  
رَوْعَةَ المَقْتَلِ

نيسان ١٩٩٣  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## انتظار

ترتخي أرجوحةً في القلب،  
يشتدُّ دبيبُ الظلِّ في اللوحة،  
والليلُ له طعمُ الوداعِ  
يتدلَّى في الشبايبِ  
خليطاً من وُحولِ المُدنِ السفلى،  
وأحزانِ العجْرِ  
ونثيثِ الضجرِ الكونيِّ  
قد ينزلُ  
في شكلِ حجرٍ  
فمتى  
تأتينَ يا سيدتي؟

صُبْحاً بَحَارِيّاً... وَإِيمَاءَ شِرَاعٍ  
وَمَتَى تَأْتِينَ؟،  
عَصْرًا ذَهَبِيًّا لِبُدَايَاتِ الْمَطْرِ  
مُطْلَقًا كُلَّ الْعَصَافِيرِ الَّتِي أَلْغَتْ  
تَعَالِيمَ الْقِبَائِلِ  
صَوْتُكَ الْمَخْدُوشُ بِالْمَاءِ،  
تَحْدَى نَزَقَ الْبَحْرِ،  
وَحُرَّاسَ الْقِلَاعِ  
فَتَعَالِي،  
نَعْتَقُ بَيْنَ الْمَحَطَّاتِ الَّتِي نَامَتْ  
عَلَى وَعْدِ سَفَرٍ

\*\*\*

ها هو النهر،  
أتى كالدمع  
مصلوباً بآلاف الرسائل

آذار ١٩٩٢  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## بغداد

تمحو الرمالُ حوافرَ المُدنِ  
ويظلُّ إسمُكُ  
نخلةَ الزمنِ  
ركضتُ عليكِ الرِّيحُ  
داميةً  
وتتاهبتُكِ  
أصابعُ المحنِ  
لم يرتجفِ  
لحنٌ بأغنية... يوماً،  
ولا طيرٌ على فننِ  
بغدادُ

أنتِ حدودُ ذاكرتي  
وعشيقتي  
في السرِّ والعلنِ  
هاتي يديك... وعانقي لهبي  
فأنا لغيرِ هواك  
لم أكنِ  
والعاشقونَ  
إليكِ قد عبَروا  
ما بينَ مُحْتَضِنِ  
وَمُحْتَضِنِ  
والليلةُ الألفُ التي سَهَرَتْ؛  
لم تَخْتَلَسْهَا  
غيمَةُ الوسنِ  
(فأبو نواس)  
لم يزلُ ثَمَلًا،  
يُزْرِي  
بمنَ وَقَفُوا على الدَّمَنِ  
والشيخُ (بشارٌ)... يُحَدِّثُنَا  
عن عشقه الآتي من الأذنِ  
وتَفَتَّتْ عَيْنُ (الرضيِّ)

لنا  
كتلُفتِ الشيطانِ  
للسفنِ

\*\*\*

يا خيمةً في الكرخِ  
قد سكنتُ فيك المنى  
بوركنت من سكنِ  
إنَّ الرُّصافةَ  
أشعلتُ فمها قبلاً،  
لوعدِ بعدُ لم يحنِ

بغدادُ  
في غبارِ أسئلة  
قد أتقنتُ إشراقَةَ الشجنِ  
فتشَّتْ  
في الأفاقِ... مُبتعداً  
وفتحتُ  
كلَّ حقائقِ الوطنِ  
لم ألقِ  
أجملَ منك فاتتةً؛

يهفو إليها  
كل مُفْتَنٍ  
ورأيت  
وجهك... بين أشرعتي  
لكنه للآن  
لم يرني  
هُرِّي إليك بأيِّ سوسنةٍ  
تتفتح الأزهارُ  
في كفني

أيار ١٩٩١  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## اللعبة

إلى سارة ابنتي

في عُنْمَةِ الأصواتِ تترحلُ النوافذُ،  
والغروبُ يعودُ يفترسُ الحقائقَ،  
والصورَ  
لا شيءَ يَوْمِي  
لانكسارِ الوقتِ  
في قَبْلِ تحاصرها التَّلالُ  
ظمًا  
يُحدِّقُ في الجِرارِ  
ومُسافرٍ  
في راحتِهِ دَمُ السَّوَالِ

تَتَوَعَّكُ اللَّحْظَاتُ فِي عَيْنِهِ  
مُوحَلَةً،  
وَيَنْدَلِعُ الزَّوَالُ  
وَعَوَاءُ أَضْرَحَةِ مَرِيرَةٍ  
تَعْدُو عَلَى الطَّرِيقَاتِ،  
تَبْحَثُ عَنْ ذَوِيهَا فِي صِنَادِيقِ الْحِمَاسَةِ،  
وَالشُّكُوكِ الْمُسْتَدِيرَةِ  
وَأَصَابِعِ سَوْدَاءِ تَخْتَلِسُ الشَّجَرَ  
ضَجْرٌ هَلَامِيٌّ،  
يُفْتَحُ كُوَّةَ خَلْفِ النَّهَارِ  
فَتَطْلُ مِنْهَا  
طِفْلَةٌ سَمْرَاءُ أَسْهَرَهَا الْقَمْرُ  
قَالُوا لَهَا أَنْتَظِرِي أَبَاكَ غَدًا،  
إِذَا عَادَ الْجُنُودُ  
فَلَعَلَّهُ يَأْتِي  
وَبَيْنَ يَدَيْهِ لُعْبَتُكَ الْأَثِيرَةُ  
تَأْتِي الرِّيحُ وَلَا يَعُودُ  
فَتَنَامُ حَالِمَةً،  
تَعَانِقُ لُعْبَةَ الْوَهْمِ الْكَبِيرَةِ

أيار ١٩٨٨

بعقوبة

\*\*\*

## مزاميرُ ... لما تبقى

وطني  
رسائلُ دَهْشَةٍ تُصَلُّ  
وحكايةُ إيقاعها الأزلُ  
دَوْنَتْهُ طِفْلاً  
بذاكرتي، فقرأتهُ  
والعمرُ يكتهلُ  
خبائثُ بدفاتري ولها،  
فاخضرتُ الكلماتُ،  
والجملُ

نثرَ المروجِ  
على عباةِ  
نهرانِ  
لا يغشاهما ملُّ  
مُدُّ أودعتهُ الريحُ  
معزفها،  
وسقى به هزجَ الهوى  
رملُ  
فلمحتُ  
من شباكِ نخلته  
أولى العيونِ السودِ  
تكتحلُ

\*\*\*

مرَّ الشتاءُ  
على ملامحه حزناً،  
وغطى شوقه  
الخجلُ  
فتهافتَ الشُّرورُ  
من ألمٍ،  
وتراجعتُ

بشفاهنا القبلُ  
وتلفعتْ بركامها ... صورُ،  
وتبعثرتْ  
بصماتنا الأولُ  
فبكلِّ منعطفٍ لنا  
أثرٌ،  
وبكلِّ مفترقٍ لنا  
طلُّ  
لكنَّ بوحَ الشمسِ  
في وطني  
ظلتْ بهِ الشيطانُ تغتسلُ  
وعلى  
حدودِ النزفِ  
مئذنةٌ  
رغمَ اصطكاكِ الريحِ  
تبتهلُ  
وهنا  
مواقدنا التي بقيتْ  
تحتَ الجليدِ المرُّ  
تشتعلُ

\*\*\*

ياخيمةَ الألوانِ  
يا حُلماً حُلُوَ الضفائرِ،  
كلهُ جَذلٌ  
ينثالُ  
فوقَ الصبحِ ----- أغنيةً بيضاءَ،  
كالنِّعناعِ ----- تَنَتَقِلُ  
وينامُ  
كالشفقِ البعيدِ بنا،  
ومساوُهُ  
كالعطرِ يَنسَدِلُ  
مجدُّ القياثرِ  
أن يكونَ بها وترٌ  
وريفُ الدمعِ مُنْفَعِلُ

\*\*\*

يا شهقةَ النهريينِ،  
يا وطناً،  
لي من هَواهُ  
بغرْبَتِي، رُسُلُ  
خُذني إِلَيْكَ،

كزورق  
حزنت شفناه،  
والتأثتُ  
به السبُلُ  
خُذني نَعاساً،  
رَجَع كَرَكْرَةَ،  
فأنا  
بِطِينِكَ هَائِمٌ تَمِلُ

شباط ١٩٩٢  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## الرصف الأخر

إلى ذكرى علي طالب

أطفأتني وعبرتَ نجماً

في لحظة

هي كلُّ هذا العمرِ والطينِ المُسمَّى

كنتَ اشتباكَ

الدمعِ والفرحِ المُخيفِ،

على غروبِ مدينةٍ

تلتفُّ بالأنهارِ والأسرارِ

والشجنِ المُضاعِ

يا مُتقلاً

بطفولةِ الأغصانِ،

لا تُسرِعْ،  
فقد صارَ انفلاتُ البحرِ شيئاً  
لا يُفسرُهُ شِراعٌ

\*\*\*

قد قُلْتَ لي يوماً  
وقد راحَت نوارسُكَ الرِسْولَةَ  
تستريحُ  
على الضحى المنسيِّ في القصبِ:  
لو مرَّةً ننسى  
كم اختفتُ أغانينا  
بقافلة الرمادِ،  
وكم بكينا  
حينَ شاهدنا احتفالَ النارِ بالكتبِ  
وسألنتني قَلْباً:  
أتلَمَحُ في نِهايَاتِ الفُؤوسِ  
بدايةَ الحطبِ؟

\*\*\*

لخرائطِ الوجعِ الجميلِ  
لمساحةِ في الصمتِ  
لا تنهافتُ الكلماتُ فيها،

كنتُ مذهباً  
أرْمُ وجهكَ المحفورَ  
في سعفِ النخيلِ  
وعلى ارتعاشِ الدمعِ  
يأتي صوتكُ الغسقيُّ  
مأهولاً بجرحِ حمامةٍ،  
حفظتُ حكايتنا ولم تشأِ الرحيلُ  
قسماً-----  
سأمنحُها برغمِ الليلِ إسماً،  
حين ينساها الهديلُ

\*\*\*

مازلتُ أذكرُ  
كيف باغتتنا أصابعنا،  
وألقينا النورَ على مياهِ النهرِ  
فاندفعتْ حكاياتُ عتاقِ  
ونما الترابُ مسلةً،  
في طينها كانَ العراقُ  
يا أيها الوطنُ المدوّنُ  
في فناني الحزنِ والرمانِ  
سيؤسّسُ الأطفالُ

عُنُقوداً من اللُّثغَاتِ،  
والمطرِ المُفاجِئِ،  
رَغْمُ عُنْفِ الرِّيحِ والأَحْزَانِ  
وسنلنتقي-----،  
أنتَ أَشْتَعَالُ سَحَابَةٍ بِيضَاءَ  
حَالِمَةِ العُيُونِ  
وأنا ارتماءاتُ الطفولةِ،  
حينَ تَدَهْسُهَا السُّنُونُ

آذار ١٩٩١  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## مرثية الجهات الأربع

كالسرِّ،  
كالخللِ البهيِّ أضاًوا  
ومشوا عراً،  
والوضوحُ رداءً  
ملكوا أصابعهم  
فصاروا سلماً،  
والصاعدونَ لوقتِهِمُ غرباءُ  
للحزنِ أسماءُ  
نموا في شمسها،  
تتهارُ  
دونَ غدوقها الأسماءُ

عَبَرُوا عَلَى الْأَسْوَارِ  
خَلْفَ يَمَامَةَ،  
صَرَخَاتُهُمْ أَرْضٌ لَهَا  
وَسَمَاءٌ  
وَتَكَامَلُوا  
فِي لَحْظَةٍ قَدْرِيَّةٍ؛  
فِيهَا لِكُلِّ خُلَاصَةٍ  
إِيوَاءٌ  
الْوَجْدُ بَعْضُ هِبَاتِهِمْ  
إِذْ تَغْتَلِي بِهِمُ الْحُدُوسُ،  
وَتُنْقِضُ الْأَشْيَاءُ  
لَمْ تَلْتَمِعْ  
سُدْمُ الْخَلِيقَةِ فَوْقَهُمْ،  
إِلَّا وَكَانَ وِرَاءَهُنَّ  
وِرَاءٌ  
فَهُمُ الَّذِينَ  
تَوَعَّكَتْ أَحْلَامُهُمْ فِيهَا،  
وَهُمْ مِنْ نَارِهَا أَجْزَاءُ  
فِي الْبَدْءِ  
كَانَ لَهُمْ تُرَابٌ مَسْرَّةٌ،

ولهم بكلِّ تورقٍ  
إصغاءُ  
في البدءِ  
ياشجرَ التوحُّدِ  
أينعتُ قاماتهمُ سفناً،  
فكانَ الماءُ  
إنَّ أُفَلَّتْ  
كلُّ الموانئِ دونهم عبْرَ البحارِ،  
فموتهم ميناءُ

\* \* \*

عصفورة الفلّات،  
كُونِي مَرَّةً أُفَقًّا لَهُمْ،  
إِنَّ المَكُوثَ فَنَاءُ  
وَتَفَنَّتِي،  
أنتِ النيازكُ حُرَّةٌ؛  
لم يَتَسَعِ لَهُم مِهْنٌ  
فَضَاءُ  
وتَلَمَّسِي  
كلَّ انكشافاتِ السُدَى؛  
فالموتُ في مَطَرِ الكشوفِ

بقاءً

\*\*\*

لخِيولِ هذا الصمتِ  
أَقطِفُ عُرْلَةً،  
فيمرُّ  
فوقَ حرائقي الخُلفاءِ  
لهمُ الرماحُ،  
وفِضَّةُ الأبدِ التي أغضى  
لوقعِ رذاذها الشعراءُ  
وليَ افتراضاتُ الشروقِ،  
وكوَّةُ  
غسلتْ هواها  
الريحُ والأخطاءُ  
لي كلِّ مافوقِ المناضدِ  
من ضحَى،  
وليَ الدموعُ  
إذا استنتبَّ بكاءُ  
ونِشارةُ الشجنِ المبيِّنِ  
إذا ارتمى فيها التوقُّعُ،  
وانحنى الإيماءُ

\*\*\*

ياموكب العطب الذريع،  
تلكأت تلك النذور،  
وأخفق الأبناء  
وتراكم المتباصقون  
على المدى،  
فاندك ظل،  
واكفهر هواء  
لم يأت  
هدهنا الفقيد،  
ولا مشت في النخل  
ذات ظهيرة  
أنباء  
فإذا بداياتُ الشروع  
تلبس،  
وإذا نهاياتُ الوصول  
عراء

تموز ١٩٩٨  
سوق الشيوخ

\* \* \*

- V. -

## شَيْخٌ لِكُلِّ الْفُصُولِ

فِي مُدُنٍ  
يَتَدَاوَلُهَا الْفُقَدَانُ  
تَتَعَنَّرُ بِالْأَيَّامِ الْمَكْسُورَةِ،  
وَالْمَوْتَى يَكْتَشِفُونَ طِفُولَتَهُمْ  
فِي الْأَكْفَانِ  
كَانَ هُنَاكَ عَلَى رَابِيَةٍ،  
شَيْخٌ ضَوْئِيٌّ اللَّهْجَةِ،  
كَالْفَجْرِ الطَّالِعِ مِنْ مِرَاةٍ  
لَا يَمْلِكُ حَتَّى اسْمَ فَجِيعَتِهِ،  
يَتَعَبَّدُ  
فِي ظِلِّ اللَّتَّاعَاتِ الْأُولَى،

ويقاتلُ بالحرفِ الأوَّلِ  
في كلِّ الطرقاتِ  
تتسرَّبُ أوجاعُ القمحِ له  
فيهددها،  
تتصلُ الأسلاكُ لتؤويه،  
يهاجرُ مشطوراً  
بالجوعِ الكونيِّ  
إلى امرأةٍ تتعرَّى،  
يستعمرُه الشوقُ،  
يلُمُّ تراثَ الأرضِ بمعطفه،  
ويؤبِنُ  
أشجاراً ستموتُ على دجلة،  
جمرُ الأسفارِ بكفيه  
توهجُ مدفأةً للغرباءِ  
وترابُ منافيه  
تناثرَ من بينِ أصابعِ مَنْ دفنوه؛  
وعادَ حروفُ هجاءِ  
يفتنهُ الشفقُ المنسيُّ بنورسةٍ  
تأتي،  
تحملُ تحتَ جناحيها المغترِبينِ

هواءً من بغداد  
وهو على قاع الوحشة تملؤه الجدران  
يرسم أطفالاً لم يرهم،  
وعلى حزن يديه  
تمر جميع خطوط العرض،  
وتحتك به كل الأبعاد  
يرسم دالية  
تحلم بالأفداح،  
ويرسم حزمة أعياد  
يجمع بعض هشيم لا تذروه الريح،  
ويحفر في الأرض  
ليكشف  
عن آلاف الرقم الطينية  
تحت جدار السجن،  
ويشهد أول حزن للإنسان

أيار ١٩٨٨  
بعقوبة

\*\*\*

## لإيلافنا رحلة الشّتاتِ والحيفِ

خُذْ هوائِي المَريرَ  
فالبيدُ لَهْفِي  
وتَقَرَّبْ بهِ إلى المحوِ  
زُفِي  
ربّما  
طَقَسْتُ هَوَايَ  
الأحافيرُ،  
وماجَتُ بي العراءُ  
عصفا  
خُذْ غبارِي  
عَبْرَ الدروبِ رَقِيمًا؛

فبِعِينِي  
أَلْفُ عَيْدٍ تَحْفَى  
رَبِّمَا  
لَمْ يَمُرَّ وَجْهِي  
إِلَى الْغَبِطَةِ  
إِلَّا عَلَى ضَرْيَحٍ  
وَمَنْفَى  
وَالْهَزِيحُ الْمُعَاقُ  
أَغْلَقَ مَعْنَايَ،  
فَأَوْغَلْتُ فِي الْوَجَازَةِ  
كَشْفًا  
لَمَعَانُ الزَّرْبِيرِ  
حَشْدُ قُصَاصَاتٍ مِنَ الْفَقْدِ  
تَحْتَفِي بِي نَزْفًا  
فِي نَهَارٍ  
كَانَتْ تُحَلِّزُنُهُ الرِّيحُ،  
وَتَمْضِي بِهِ الْمَكَائِدُ  
خَطْفًا  
وَتَدَلِّي بِهِ الْفِرَاغُ  
عَوِيلًا؛

بَيْنَ لَيْلَيْنِ  
يَسْتَشِيطَانِ زَيْفَا  
شَغَبٌ فِي الْهَدِيلِ،  
فِي قَامَةِ الصَّحْوِ،  
وَحُلْمٌ  
بِسَاكْنِيهِ اسْتَخْفَا  
فِي عَيُونِ  
تُشِيرُ عَيْرَ الشَّرَاسَاتِ  
إِلَى فِتْنَةٍ  
تُوَثِّتُ كَهْفَا  
وَاسْتَفَاقْتُ (قُرَيْشُ)  
ذَاتَ هَبَاءِ،  
لَتَرَى هَجَسَهَا  
تَصَاعَدَ سَقْفَا  
وَاسْتَدَارَ  
الْيَتِيمُ نَحْوَ أَبِيهِ،  
لَمْ يَجِدْ  
غَيْرَ دَمْعَةٍ تَتَخَفَّى  
كَانَتْ فِيهَا  
(مُحَمَّدَ) الْبَدَاءِ،

مَارَفَ رَبِيعٌ  
إِلَّا وَعَطْرُكَ رَفًّا  
فَذَّةً  
شَمْسُكَ الْبَلِيلَةُ بِالنَّأْيِ،  
وَلَا شَيْءَ  
مِنْ مَرَايَاكَ أَصْفَى  
أَيُّ كُنْهَ  
عَبَّرْتَ أَسْوَارَهُ الْبَيْضَاءَ ؟  
وَالشُّكُّ يُوسِعُ الْأَفْقَ  
حَذْفًا  
مَسَحَتْ رَاحَتَاكَ  
أُتْرِبَةَ السَّرِّ،  
وَأَيْقَظَتْ  
مَا اسْتَنَامَ وَأَغْفَى  
يَا هَوَى الْفَتْحِ،  
يَانشِيدَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَغْصَانِهِمْ،  
تَبَارَكْتَ قَطْفًا  
أَمِنْ زَيْتُهُ،  
و(أَمْنَةً) رُؤْيَاهُ،  
وَالْمُلْتَقَى تَمَاجِطِيفَا

و(عليّ)  
يُدِيرُ بَوْصَلَةَ اللَّهِ،  
ويعلو على الظلماتِ  
سيفاً

\*\*\*

مَكَّةُ اسْتَقْبَلِي فِتَاكَ؛  
فَقَدْ لَابَ حَنِينًا،  
وَأُورِقَ الْجَمْرُ  
عَطْفًا  
أَيْنَعَتْ  
تَحْتَهُ الدَّرُوبُ وَصَوْلًا،  
والمزَامِيرُ  
قَدْ تَهَجَّتْهُ  
عَزْفًا  
مَكَّةُ اسْتَغْفِرِي خُطَاةً،  
وَضُمِّيهِ  
فَذَا الْحَبُّ  
مَلَأَ عَيْنِيهِ شَفَا  
سَتَشِيرُ الْبَحَارُ  
نَحْوَ لِيَالِيهِ،

وترتأذهُ الينابيعُ  
رشفاً  
وستبكينَ  
ذاتِ يومٍ عليهِ  
عندما  
تشهقُ النوافذُ خوفاً

\*\*\*

يا حبيبي انتظرْتُكَ العَمْرَ،  
والحزنُ طویلٌ،  
والموجُ لم يُبقِ جُرْفاً  
أنا ما زلتُ مِنْكَ  
بعضَ شجونِ عابقاتٍ،  
ومن كتابِكَ  
حرّفاً  
جفّفتُ وقتها الخيولُ  
بقلبي؛  
وأنا منْ صهيلِها  
لم أجفأً  
وجبيني  
الذي استضافَ السماواتِ

أَلَمَّتْ بِهِ الْكَمَائِنُ عُنْفًا  
هَذِهِ وَحِشْتِي،  
وَهَذِي بَقَايَايَ،  
مَشَتْ فَوْقَهَا الْخَسَارَاتُ  
زَحْفًا  
رِحْلَةَ الْعَمْرِ يَا (قُرَيْشُ)  
فَصُولٌ مُرَّةً،  
لَمْ تَكُنْ شِتَاءً وَصَيْفًا

حزيران ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

## العودة

سيرجُ  
هكذا قالتُ لهُ الأنهارُ  
وتتكيُّ السنايلُ مرتينِ  
على شقوقِ البابِ  
فانتظريه،  
كمُ دارتُ بهِ الدنيا،  
ولكنَّ الشراعَ بكفه ما دارُ  
سئلني في الشبابيكِ الأليفةِ  
عُرِّي فرحتِه،  
وأكداساً من الأيامِ  
يجلِّدها الحنينُ بعطره الأزرقُ

على كَتْفَيْهِ مَقْبَرَةٌ؛  
هَوَتْ فِي قَاعِهَا الْأَسْمَاءُ  
وَكِرْكِرَةٌ رَمَتْهَا طِفْلَةٌ  
فِي مَوْجِ عَيْنَيْهَا الْمَدَى يَغْرَقُ  
سِيرَجٌ مِثْلَ عُشْبِ رَاوِدَتِهِ النَّارِ  
يُفْرِقِعُهُ الْغُرُوبُ  
شِرَاسَةَ سُودَاءِ  
يَحْدَقُ فِي الزَّوَايَا  
لَا يَرَى غَيْرَ انْحِنَاءَتِهِ،  
يُعَبُّ بِانْخِطَافَةٍ وَجْهَهُ الْبَاقِي  
عَلَى الْأَسْوَارِ  
بِهِ عَبَتْ الشَّرَاكُ،  
وَضَيْعَةُ الْعَصْفُورِ  
حِينَ يَهْبُ مَسْلُوبًا  
يَطَارِدُهُ الشِّتَاءُ وَجُرْحُهُ الْأَعْمَقُ

تموز ١٩٨٨  
بعقوبة

\*\*\*

## من أوراق حنين البغدادي

[مقطع عرضي لمدينة]

كم ابتعدنا عن هوى بغداد  
كم ابتعدنا عن هوى بغداد  
كم ابتعدنا عن أناقة المياه  
وبابل تحت الأبواب  
قصيدة لها ملامح الأجداد  
كم ابتعدنا عن هوى بغداد  
وكم تفتحت وراء لعناتنا مسافة  
ودجلة يرزوم في حقيبة ضفافة  
يرحل ، كي يسأل عنا،

حاملاً تكسراتِ الكرخِ والرصافه  
على السهولِ دمعاً  
تبحثُ في خزانةِ الغروبِ عن بكاءٍ  
وفي البعيدِ كانتِ الشمسُ تضيعُ،  
تمحى الأسماءُ  
حنينُ ماعادَ إلى البيتِ،  
وخفاهُ مُعلقانِ في المَرادِ  
سأنظلي على الدروبِ كي أراه  
موعدنا بينَ رصاصتينِ  
سأفتقي دمي لكي أراه  
قالَ غلامٌ: قد رأيتُهُ ضحياً  
مُخضباً باسمه بينَ سحابتينِ  
قالَ فتى: رأيتُهُ يخطبُ بالموتى  
قبيلَ الفجرِ في مقبرةٍ، ويقراً المياهُ  
لايدُّ أن أراه  
وأن أرى احتكامَةَ الحُكَّامِ في عينيه،  
وانسكابَةَ السَّوادِ  
كم ابتعدنا عن هوى بغدادِ  
وهي أنينُ ابنِ زُرَيْقِ،  
إذ سباهُ القمرُ الكرخيُّ أشواقاً،

فماتَ فوقَ صخرة،  
لكنَّهُ مازالَ يأتي يطرقُ الأبوابُ  
يُبعثُ كلَّ ليلَةٍ،  
إذا التقى العشاقُ في بغدادٍ  
كمْ ابتعدنا عن هوى بغدادٍ  
وهي حنينُ ابنِ جُريجٍ<sup>(٣)</sup>،  
إذ يصيحُ والهأ:  
( لي وطنٌ آليتُ ألا )<sup>(٤)</sup>  
أخلعَ الوحشةَ إلا فيه  
مهما التبسَ الإيابُ  
وهي فكاها ت أبي دُلامة،  
ووعظُ بهلول،  
وإمتاغُ أبي حيانٍ  
وهي أبو نواس الظريفُ،  
إذ يسألُ في الحاراتِ عن جنانٍ  
وأغنياتِ الموصليِّ،  
والأصابعُ التي زها بها زريابُ  
وهي الشناشيلُ التي

<sup>(٣)</sup> هو الشاعر، ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج.  
<sup>(٤)</sup> العبارات المقوسة في القصيدة هي تضمنين.

كَمْ زَلِقَتْ شَمُوسُنَا مِنْهَا،  
وَكَمْ مَرَّ بِهَا سُهَادُ  
كَمْ ابْتَعَدْنَا عَنْ هَوَى بَغْدَادُ  
وَهِيَ عُيُونٌ لِلْمَهَا وَأَدْمَعُ،  
وَنَجْمَةٌ تَطْلُعُ مِنْ حَقَاوَةِ الشُّطَّانِ  
وَهِيَ النَّدَى الصَّيْفِيُّ،  
وَالجُسُورُ فَوْقَ دَجَلَةِ،  
وَالسَّمَكُ السُّهْرَانُ  
وَهِيَ انخِطَافُ الهمسِ بَيْنَ قُبْلَةٍ وَقُبْلَةٍ  
وَهِيَ بَقَايَا عَطْرِ أَلْفِ لَيْلَةٍ  
وَهِيَ هُطُولُ الْوَالَةِ الْكُونِيِّ،  
وَالنَّخْلُ،  
وَحَرْفُ الضَّادِ  
وَهِيَ جَنَازَةٌ،  
رَمَاهَا الْجُنْدُ فَوْقَ الْجِسْرِ يَوْمًا،  
ثُمَّ نَادَوْا حَوْلَهَا:  
هَذَا إِمَامُ الرَّافِضِينَ جَاءَكُمْ،  
وَأَخِرُ الْعِبَادِ  
فَهَرَوَلْتُ إِلَيْهِ آلاَفُ الْحَقُولِ، وَالْفُصُولِ،  
وَالْمَوَاسِمِ الَّتِي أُنْعَبَّهَا الْغِيَابُ

وابنُ سُويِّدٍ واقفٌ للآنَ فوقَ الجسرِ،  
مشدودٌ إلى الميعادِ  
كمِ ابتعدنا عن هوى بغدادِ  
وهي تكايا الأولياءِ،  
والمساجدُ التي ما رطنت يوماً،  
ولا خافَ بها أذانُ  
وهي خطى بشرٍ يدورُ حافياً،  
وقبلةُ الزهادِ  
وهي تواريخُ الحفيفِ،  
وانكشافاتُ الجنيدِ،  
والكوى، والعشقُ، والأفياءُ  
يومَ خرجنا،  
كانَ في وداعنا الرضيُّ،  
بالعمامةِ السوداءِ  
وكانَ قُربَ السورِ،  
حاسراً طعيناً، يومئِ الحلاجِ  
يصرُخُ بالسيِّفِ:  
هياً افتحِ الرِّتاجَ  
إنَّ نديمي سوفَ يأتي،  
عبرَ تلكَ الريحِ والأمواجِ

كان به مس من اليقين،  
فانحنى،  
ودسَّ خاتمَ الثورةِ تحتَ السورِ،  
غيرَ عابئٍ بقامةِ الجلائدِ  
ثمَّ اختفى،  
مُغروراً بالوجدِ والإيماءِ  
كفأه في السماءِ نجمانِ،  
وعيناهُ على بغدادِ  
كم ابتعدنا عن هوى بغدادِ  
وكم تناءتِ الغُصونُ،  
تحت غيمةٍ من التوعكِ المديدِ،  
كنا نسألُ الشهورَ عن حنينِ الفقيدِ،  
إن كانَ إلى بُستانِهِ قد عادَ  
قال الخفيرُ:  
قد تركتُهُ بلا رأسٍ ولا خُفينِ،  
في السوقِ يُغني باكياً،  
ويشتُمُ السلطانَ  
لم يُمهله لحظةً،  
ليكتبَ العُنوانَ  
لكننا بعدَ سنينِ،

عَثَرَتْ دِمَاؤُنَا بِهِ،  
وَكَانَ حَزْنُهُ ضَفَائِرَ الشَّمْسِ،  
تُغَطِّي عَتَبَاتِ السُّجُنِ وَالسَّجَانِ  
يَنْزِلُ فِي الْقَرْيِ،  
مَعَ الْبُرُوقِ كُلِّ مَرَّةٍ،  
وَيُشْعَلُ الْأَسْوَارُ  
يَجْلِسُ تَحْتَ نَخْلَةٍ،  
وَيَجْمَعُ الصَّغَارُ  
وَذَاتَ يَوْمٍ نَاحِلٍ قَالَ لَهُمْ:  
تَذَكَّرُوا،  
أَنَّ التَّرَابَ دَفَتَرُ اللَّهِ الَّذِي  
تَخَجَّلُ مِنْهُ النَّارُ  
وَحَبْرُهُ السَّرِيُّ هَذِهِ الدَّمَاءُ  
ثُمَّ أَسَارَ،  
نَحْوَ جَهَنَّمَ الْغِيَابِ فِي عَيُونِهِمْ،  
وَقَالَ:  
الْوَطَنُ الْجَنَّةُ،  
مَهْمَا ابْتَعَدْتَ أَقْدَامُكُمْ عَنْهُ،  
وَمَاتَ خَلْفَكُمْ نَهَارُ  
تَذَكَّرُوا مَوْعِدَنَا هُنَاكَ يَا أَطْفَالَ

ثمّ مضى مُبتعداً،  
يلتفُّ بالأسماءِ  
ويسألُ الرّيحَ عن البلادِ  
وصوتهُ يخضرُّ،  
كلّما تلاقتُ فوقهُ الأمطارُ  
قد حفظَ الأطفالُ مقالَ لهم،  
ولم يزلُ يحفظُهُ النخيلُ،  
والأنهارُ  
وفي الربيعِ،  
تُقبلُ الطيورُ كي تزورَ ظلَّهُ،  
وتعلنُ الحدادُ  
ومالكُ الحزينُ مازالَ حزيناً،  
في خرائطِ الرمادِ  
كم ابتعدنا عن هوى بغدادِ  
وكم تشبّثتُ بنا أصابعُ  
وراودتنا أدمعُ عن نفسها  
وانكسرتُ شوارعُ  
أصفارنا تراكمتُ  
على يسارِ الوقتِ أكّادساً،  
ولم يكنْ لنا حصادُ

كم ابتعدنا عن هوى بغداد  
هناك لم نزل لنا نوافذ،  
ولم يزل في ساحة التحرير  
واقفاً جواد<sup>(٥)</sup>  
يُشير للآتين مُخَنَّا بدمعَينِ  
وقُربُهُ كانَ ابنُ مردانِ على مصطبة،  
يحترفُ النسيانُ  
حُرُوفُهُ عارية<sup>(٦)</sup>،  
ووجههُ يُشاكِسُ الزمانُ  
(في الطابقِ الرابعِ منَ عمارة)،  
كانَ ابنُ يوسفَ حزيناً،  
راحلَ العينينِ  
نخلُ السماوةِ<sup>(٧)</sup> استدارَ حولَهُ،  
وغرَّينِ النهرينِ  
وكَلِّما بكى بكتَ بغدادُ  
مُظفَرٌ والأبجدياتُ تُغَطِّيهِ،  
تَدُقُّ ساعةَ القِشلةِ<sup>(٨)</sup> في جبينهِ،

(٥) جواد: جواد سليم، الفنان العراقي مصمم نُصب التحرير.

(٦) قصائد عارية: أول ديوان شعري للشاعر حسين مردان، أثار ضجة كبيرة وحوكم

بسيبه.

(٧) نخل السماوة: أغنية عراقية شائعة.

فيبدأ الأسفارُ  
يحملُ دفتراً،  
وأسمالَ أبي ذرٍّ،  
ويمضي في (قطارِ الليلِ)،  
مفتوناً بكلِّ نسمةٍ مرّت على بغدادِ  
بغدادُ يا برّحيّةً<sup>(٩)</sup> النخيلِ،  
ياسباتك الهديلِ،  
ياقارورةَ البكاءِ  
يا روضةَ اللّقاءِ،  
وطعمَ الماءِ  
بغدادُ هذا سيّدُ النخيلِ،  
يلتقيك تحت خيمةٍ،  
أغفى بها يقظانٌ.  
يقطفُ قيلولَةَ نورسٍ، ويعدو هاتفاً:  
( ما اشتبكتُ عليكِ أعصراً )،  
ولا خباً بليلكِ الغزيرِ شمعدانِ  
إلاّ وكنتِ للشموسِ مرّفاً،

---

(٨) ساعة القشلة: من أقدم الساعات في بغداد، شيّدت في عام ١٨٦٨م، وما تزال قائمة

على نهر دجلة.

(٩) البرحي: من أجود أصناف النخيل في العراق.

وللضحى مِبناءً  
بغدادُ  
على الخليج مُتعباً،  
قد وقف السيّابُ  
وفيقة<sup>(١٠)</sup> تفتحُ شُبَاكاً لِلْفِيَاءِ،  
وإقبالُ<sup>(١١)</sup> تناديه فلم يسمع،  
سوى أغنية تسيلُ منْ مقهى،  
وراءَ الدمعِ،  
فيها نفحات من شذى بغدادُ  
كم ابتعدنا عن هوى بغدادُ  
عند الوهاب والأباريق التي  
ماملت يوماً،  
ولا كان لها مكانُ  
عائشة<sup>(١٢)</sup> لم تأت بعدُ،  
كي تُريقَ شعرها بين يديه،  
كان بابُ الشيخ<sup>(١٣)</sup>

---

(١٠) اسم امرأة، أحد رموز السياب الشعرية.  
(١١) إقبال: زوجة السياب ورفيقة طريقه.  
(١٢) عائشة: أشهر الرموز الشعرية عند البياتي.  
(١٣) باب الشيخ: محلة عريقة في بغداد قضي فيها البياتي طفولته وشبابه، وهي تحيط بمرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني.

بابَ اللهِ في عِينِهِ،  
والنّهايةَ المِيلادُ  
ماتَ وحيداً كالنُورِ،  
عالياً في حَضْرَةِ الرِيحِ  
مُلْتَبِساً بِنِيزِكِ،  
يَأْتِي مع الصبّاحِ  
جِبْهَتُهُ العريضةُ  
ارتَمَتْ بها الرّاياتُ والبِجارُ  
وفي شُحوبِهِ غَفَّتْ بَغْدادُ  
بَغْدادُ

خُطِيَ الجواهِريُّ في السّاحاتِ غَضَّةً،  
وصَوْتُهُ الهديجُ،  
والطّاقيةُ<sup>(١٤)</sup> التي تَلَاقَتْ  
تَحْتَهَا الأضدادُ  
إِذْ يُشْعَلُ الدّنيا بِإِصْبَعَيْنِ  
ويَنْزوي  
مُودِّعاً بدمعهِ النَّدمانُ  
أوراقُ مَقْصُورَتِهِ التي

---

(١٤) الطّاقية: غطاء الرّأس الشّهير الذي كان يَعتَمِرُهُ الشّاعر.

مضى الموجُ بها،  
لا بدَّ أنْ تظهرَ يوماً،  
كشموعِ الخضرِ فوقَ الماءِ  
وجعفر<sup>(١٥)</sup> يعلمُ أنَّ جرحَهُ فمٌّ،  
وأنَّ قبرَهُ يدانُ  
بغدادُ

كَمْ أنتَ تغرقينَ بالأسرارِ يا بغدادُ  
ظَلَّ الرُّصافيُّ على وَقْفَتِهِ<sup>(١٦)</sup>  
رَغَمَ الصوارِيخِ التي مرَّتْ به  
والجوعِ والأحزانِ  
ينظرُ نحوَ دجلةٍ كعاشقٍ،  
وطائرُ الفينيقِ حطَّ فوقَ كتْفِهِ  
ولم تنزلْ رَغَمَ الليلي  
يَدُهُ في جيبِهِ  
وشارعُ الرشيدِ مازالَ  
لكلِّ ضائعٍ عنوانُ  
مرَّ الحُصيريِّ<sup>(١٧)</sup>

(١٥) جعفر: شقيق الشاعر، استشهد في انتفاضة ضد الإنجليز، عام ١٩٤٨ م.

(١٦) في أشهر شارع في بغداد، وهو شارع الرشيد، يوجد تمثال للرصافي، وهو واقف باتجاه

النهر وقد وضع يده في جيبه.

(١٧) الشاعر عبد الأمير الحصري.

وكانت كأسه تختصرُ الأشياءَ  
يَطوي خطاهُ مُسرِعاً  
لحانةً في ساحةِ الميِّدانِ<sup>(١٨)</sup>  
يهتفُ بالنادلِ: إملاًها،  
فإنَّ الكونَ مثلي ثَمَلِ نشوانِ  
يخرُجُ في الفجرِ وقد بعثَرهُ السكْرُ،  
يغنى طرباً:  
كم اقتربنا من هوى بغداد!  
كم اقتربنا من هوى بغداد!  
ما عرفَ الدنيا، ولا ذاقَ الهوى،  
من لم يزُرْ بغداداً

آب ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

---

(١٨) إحدى ساحات بغداد الشهيرة.

## تَعْرِيبَةُ لِأَبِي فِرَاسٍ<sup>(١٩)</sup>

يا حارثَ اللَّيْلِ،  
قَدْ بَدَأَ السَّحْرُ  
وَمَرَّ مِنْ فَوْقِ حُزْنِنَا  
قَمَرُ  
سَمَيْتُكَ الْمَوْجِ  
يَسْتَفِيقُ عَلَى سَفِينَةٍ،  
فِي الْغَمُوضِ تَنْتَظِرُ  
سَمَيْتُكَ الْمُتَأَيُّ  
تَشِيدُهُ هَوَامِشُ الرَّاحِلِينَ،

---

<sup>(١٩)</sup> القصيدة من الإيقاع (المنسرح)

والصُّورُ  
على مياه  
لَصَقْتُ أُسْئَلْتِي،  
وفوق سَهْوٍ  
تَدَخَّنَ العُمُرُ  
والرُّوحُ قِيثَارَةً مُجَرَّحَةً،  
إذا غَفَا وَتَرَّ،  
بكى وَتَرَّ  
تَبَرَّجَ المَوْتُ فِيَّ  
مُقْتَفِيًا طُفُولَةً  
بالرصاصِ تَسْتَنِرُ  
مَسَّيْتُ،  
والرِّيحُ فِي دَمِي عَطَبٌ  
وَعُدْتُ،  
والفَقْدُ فِي يَدِي ثَمَرٌ  
فِي اغْتِرَابَاتِ كوكبٍ،  
وعلى عينيَّ  
من كبريائه أَثَرٌ  
أُتَيْتُ مِنْ لَهْجَةِ النخيلِ،  
وفي خُطَايَ

مَجْدُ اللَّهَيْبِ يُخْتَصِرُ  
مِنْ الْعِرَاقِ الَّذِي مَأْذَنُهُ  
كَأَنْجُمٍ  
فِي السَّمَاءِ تَنْتَثِرُ  
مِنْ الْمَوَاوِيلِ،  
حِينَ يَدْهَسُهَا تَقْلُتُ الْأُمْنِيَاتِ،  
وَالضَّجْرُ  
مِنْ دَمَعِ أَشْيَانِنَا الَّتِي صُلِبَتْ،  
مِنْ كُلِّ حُلْمٍ  
وَوَشَى بِهِ حَجْرُ  
مِنَ الْمُشِيرِينَ  
نَحْوِ غِبْطَتِهِمْ،  
تَعَثَّرَتْ شَمْسُهُمْ  
وَمَا عَثَرُوا  
وَالْمُسْتَعِيرِينَ كُنْهَ عَاصِفَةٍ،  
إِنْ تَعَبَّرِ الرِّيحُ مَرَّةً،  
عَبَرُوا  
تَسَلَّقُوا عُمُقَهُمْ،  
فَأَنْجَبَهُمْ  
وَفَوْقَ صَحْوِ مُدَنَّسٍ

سَكْرُوا  
يَا لَيْلٍ،  
لَا تَتَّسَهُمْ إِذَا بَعُدُوا  
فَهُمْ نَدَامَاكَ،  
حَيْثَمَا سَهَرُوا

\*\*\*

مَنْ كُوَّةٌ،  
مَرَّتِ السَّنِينُ بِهَا  
وَلَمْ يُشَاغِفْ هَوَاءَهَا  
خَيْرُ  
وَنَخْلَةٍ فِي السَّوَادِ  
مُعَذِّقَةٌ  
مَاتَتْ،  
وَلَمْ يَبْكْ خَلْفَهَا الشَّجَرُ  
وَمَنْ عَلِيٌّ،  
يُضِيءُ مُرْتَدِيًا صَلَاتَهُ،  
وَالظَّلَامُ مُعْتَكِرُ  
لَمْ يَسْتَلْبِ نَمْلَةً،  
وَفِي يَدِهِ كَنْوُزُ دُنْيَاهُ،  
وَهُوَ يَفْتَقِرُ

وحيثُ وادي السلامِ  
مُلْتَجِاً،  
وَقُبَّةٌ تَنْحِنِي لَهَا الْعَصْرُ  
أَبُو تَرَابٍ،  
وَحُسْبُنَا شَرَفًا  
إِذْ يَحْتَوِيهِ تَرَابُنَا الْعَطْرُ  
جَبِينُهُ  
مَرَفًا لِعَرْبِنَتْنَا،  
وَمَنْ غَفَّوْا فِي حِمَاهُ،  
مَا خَسِرُوا  
وَمِنْ حُسَيْنٍ،  
سَقَى الْفِصُولَ دِمَاءً،  
فَأُورِقَتْ مِنْهُ فِي الْمَدَى  
فَكَرُّ  
مَا زَالَ مِنْ وَجْهِهِ  
بِنَا أَلَقُّ  
وَلَمْ تَزَلْ كَرْبَلَاءُ  
تَسْتَعْرِ  
مِنْ سِتَّةٍ  
يَرْقُدُونَ فِي وَطْنِي،

ما غادروا أرضه  
ولا هجروا

سبيكة  
من قريش اكتملت،  
وفي نرى الرافدين،  
تزدهر  
طاب العراق الذي أضاء بهم  
وكل من أنكره،  
قد كفروا

\*\*\*

أسيد الوحشة، استبد بنا تلبس،  
واستساغنا خطر  
تسجرت أمسياتنا ولها،  
ولم يلامس نشوبنا  
حذر  
نهز أقالنا على أمل  
لعلها في غد،  
ستكسر  
وتلك أسوارنا  
قد اتصلت،

وَأُقْفِنَا ضَامِرٌ  
وَمُنْدَحِرٌ  
يَا فَارِسَاءُ،  
مَا رَأَيْتُ صَاهِلَهُ  
يَزِيغُ عَنْ وَقْتِهِ،  
وَيَعْتَذِرُ  
فِيكَ ازْدِهَارَاتُنَا  
قَدْ احْتَشَدَتْ  
عُرُوبِيَّةً  
بِالشَّمُوسِ تَأْتِرُ  
مُسَافِرَاءُ،  
فِي حَمَامَةٍ هَنَفَتْ  
وَوَاقِفَاءُ،  
حَيْثُ يَظْمَأُ الْمَطَرُ  
إِذْ حَاصِرَتْكَ الشَّجُونُ  
نَابِحَةً،  
وَعَرَقَلَّتْكَ الْقُبُورُ  
وَالْحُفَرُ  
فَصَاعَ فِي لَكْنَةِ الصَّرِيرِ  
فَمَ،

فلا حكاياته،  
ولا السمرُ  
إني وإياك  
جدولا عتب،  
قد غادرا  
والجهاثُ تندثرُ  
نقتات  
من غيمة ممرقة،  
تغيرنا موتها،  
فنتشرُ  
تفيض رغم الهجير  
أكوسنا،  
ونزدهي والقيودُ تنهمرُ  
مهما ألمت بنا  
سلاسنا  
سنلتقي،  
والهوى لنا قدرُ  
بغدادُ في موكبِ السنَى حلبُ  
ضحاهما في العيونِ  
يُدخرُ

هَوَاهُمَا

رَكَعَتَانِ مِنْ شَغَفٍ،  
وَسَجْدَةً لَمْ تَبْحُ بِهَا السُّورُ  
إِنِّي عَلَى الْبُعْدِ  
أَصْطَفِيكَ أَسَى  
وَاللَّيْلِ،  
بِالْغَائِبِينَ يَنْحَدِرُ  
نَبْكَى كِلَانَا  
عَلَى شَذَى وَطْنٍ،  
مُكْوِنَا فِي جِرَاحِهِ سَفَرُ  
فَكُلْ إِيْمَاءَ لَهُ  
عَبَقٍ،  
وَكُلْ ذَنْبَ بِهِ  
سَيِّئَاتٍ

تموز ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

## ورق للمرافئ

تَكَفَّأَ مِنْكَ الْوَقْتُ،  
وَاحْتَرَقَ الْغُصْنُ  
وَأُورِقَ فِي أَحْلَى نَوَافِذِكَ الْحَزْنُ  
كَمْ اصْطَخَبْتُ  
فِيكَ الْوَجْوهَ شِرَاسَةً،  
وَأَوْشَكَ أَنْ يَنْهَارَ  
فِي فَمِكَ اللَّحْنُ  
وَمَرَّتْ بِكَ الْأَسْمَاءُ  
مَخْدُوشَةَ الرَّوْيِ،  
فَأَيْنَعَ عَشْقُ فَيْكَ  
لَمْ يَحْوِهِ كَوْنُ

تَأَخَّتْ بِكَ الْأَنْهَارُ  
ذاتَ ظَهيرة،  
وما زالَ في كَفِّكَ  
من مائها يُمنُّ<sup>ن</sup>  
ترتلُ أسماءَ النخيلِ،  
وتحتسي خُموراً عتاقاً  
لم يبشُرُ بها دنُّ<sup>ن</sup>  
وتندسُّ في دَرَبِ الرِّيحِ،  
وتتنمي لطيرٍ شريدٍ  
لا يلملمُهُ وكنُّ<sup>ن</sup>  
تجوبُ صحارى الأبديةِ  
هائماً،  
تفنسُّ عن حَرْفٍ  
على موته يحنو  
فيا شاعراً،  
لم يقترف غيرَ حُرتهِ،  
وفي شفثيه  
ألف مرثية ترنو  
لقد غادرت  
فيك العصافيرُ صيفها،

وأشْرَقَ فِيكَ المَوْتُ  
وَأزْدَهَرَ السَّجْنَ  
وَأوْغَلَ فِي الأُفُقِ الغِيَابُ  
فَدَاحَةً،  
فَلَا نَورَ سٍ يَأْتِي،  
وَلَا نَخْلَةً تَدْنُو

آذار ١٩٩٤  
سوق الشيوخ

\*\*\*

## إليها

جَسَدُ الْقَصِيدَةِ يَسْتَفِيقُ خِيُولًا  
وَاللَّيْلُ يُوقِظُ  
حُلْمَهَا الْمَقْتُولَا  
فَتَقْرَبِي مَنِّي  
لنَخْطِفَ بُرْهَةً جَذَلِي،  
سَيِّدُ هَسُّهَا الْخَرِيفُ عَجُولَا  
وَلْيُقْتَرِحْ  
فَمَكِ الصَّغِيرُ عَلَي فَمِي قُبْلَا،  
أَلَمَّ بِهَا الْحَنِينُ طَوِيلَا  
وَجْهِي بَرِيدُ الْغَائِبِينَ،  
وَبُوحُهُمْ

فَلْتَقْرَأْ رِسَالَةَ رَسُولِ لَا  
لِلَّيْلِ طَعْمُ سَفِينَةٍ  
مَجْرُوحَةٍ بِاللَّامِكَانَ،  
وَلَا تُطِيقُ وَصُولًا  
فَمَتَى تُعِيدُ لَنَا الدُّرُوبُ  
حِكَايَةً؟

كَانَتْ بِذَاكِرَةِ الْفِرَاتِ نَخِيلًا  
لَا تَسْأَلُنِي كَمْ أَحْبَبْتُكَ؟  
إِنِّي طِفْلٌ  
يُحِبُّ وَيَجْهَلُ النَّفْصِيلًا  
فَالْمَاءُ يَرْفُضُ  
أَنْ نَفْسَرَ طَعْمَهُ،  
وَالْعَشْقُ يَا بِي الشَّرْحَ  
وَالتَّأْوِيلًا  
وَأَنَا وَأَنْتِ  
شُجَيْرَتَانِ تَلَاقَتَا يَوْمًا،  
فَرَاعَهُمَا اللَّقَاءُ رَحِيلًا  
وَأَنَا وَأَنْتِ،  
وَأَيُّ حُزْنٍ شَاهِقٍ  
لَمْ نَكْتَشِفْ لُغَةً لَهُ

فَنَقُولَا  
فَلَكُمْ بِكَيْنَا،  
وَالْوَجْهُ مَرَاكِبٌ غَرِقَتْ،  
وَأُخْرَى تَحْضِنُ الْمَجْهُولَا  
وَلَكُمْ تَعَانَقْنَا  
قُبَيْلَ هَبَائِنَا،  
مَذْهُولَةٌ قَدْ عَانَقَتْ مَذْهُولَا  
لَا تَسْأَلِينِي عَنْ غَدٍ،  
فَغَدٌ مَضَى،  
وَفُصُولُهُ مَرَّتْ  
تَجْرُ فُصُولَا  
لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَمْسُ  
يَحْفَظُ شَكْلَنَا،  
وَحَفِيفَ هَجْسٍ نَرْتَدِيهِ  
جَمِيلَا  
هَذَا الْغِيَابُ مَجْرَّةٌ،  
وَأَنَا بِهَا قَمَرٌ طَعِينٌ  
لَا يُرِيدُ أَفُولَا  
مُتَوَعِّكٌ بِالنَّرْجِسِ السَّرِيِّ،  
فِي سَفَرٍ

سَقَاهُ الصَّالِبُونَ وَحَوْلَا  
وَسَلَّامٌ عَدَمِيَّةٌ  
تُغْوِي الخُطَى،  
وَتُعِيرُ حُلْمَ الصَّاعِدِينَ  
نَزُولَا  
فِي جَبَّهَتِي  
مُدُنٌ تَرَاءَتْ وَاخْتَفَتْ،  
وَبهَا مَمَالِكُ  
أَوْمَاتٌ لِنَزُولَا  
وَرِصَاصَةٌ  
جَاءَتْ لِنَسْأَلِ مَرَّةً،  
غَسَقَ الكَلَامِ،  
وَصَحَّوهُ المَخْذُولَا  
فَرَمَتْ إِلَيَّ عَرَاءَهَا  
وَتَوَغَّلَتْ،  
كَيْ تُعْلِنَ الأفُقَ الفَتِيَّ طُلُولَا  
فَمَشَيْتِ مَقْتَفِيًّا نَضُوبِي،  
حَامِلًا مَوْتِي  
عَلَى عَنَمَاتِهَا قِنْدِيلَا

\*\*\*

عُصْفُورُكَ النَّائِي أَنَا،

لم يبتعد  
إلا استدار به الحنينُ قُفولا  
سيعودُ فانتظريه  
تحت سحابة،  
أو خلف غصن  
ما يزال خضياً  
ولتهطلي  
كالعيدِ فوق غيابه،  
فهواك  
أروغ ما يكون هُطولا  
إني عشقتك يا أناي  
مسلةً أولى،  
قرأت حروفها تقبيلاً  
أنا ذلك الهيمانُ،  
كلُّ يمامة عبّرت دمي  
تركت عليه هديلاً  
وتعفّرت  
بالزقزقات أصابعي،  
فرسمتُ أفقاً،  
وافنتحتُ حُقولا

عَبَّاتُ مِنْ شَجَرِ السَّهَادِ  
حَقَائِبًا،  
وَبَنَيْتُ ظِلًّا لِلْبُرُوقِ  
ظَلِيلًا  
كُونِي  
بِعَيْنِي الْبِلَادَ جَمِيعَهَا،  
وَأَنْسِي يَدَيْكَ  
عَلَى يَدَيَّ قَلِيلًا  
فَبِنَا  
مِنَ الشُّوقِ الْكَثِيمِ  
دَفَاتِرًا،  
وَبِنَفْسِجٍ  
نَزَفَ النَّهَارَ ذُبُولًا  
وَالْعُمُرُ يَرْحَلُ كَالْغُيُومِ  
حَبِيبَتِي،  
فَمَتَى نَلْمُمُ عَصْفَنَا الْمَأْكُولَا؟

كانون أول ١٩٩٩  
دمشق

\*\*\*

- 110 -

## الفهرس

٥	الإهداء .....
٨	سَمراء .....
١٠	رِحْلَةُ الوَلَدِ السَّوْمَرِيِّ .....
١٥	ضُمُورُ الأَمَكِنَةِ .....
١٩	دُرُوسٌ فِي التَّلْعَثَمِ .....
٢٣	عِراءاتُ المُرِيدِ .....
٢٧	مَرثِيَةُ الجِسرِ .....
٣٠	بَرِيدُ الحَوَابِ .....
٣٥	إلى فيروز... وحجر آخر .....
٣٨	آخرُ مَقاماتِ الحَلَّاجِ .....
٤٣	سَيِّدَةُ الجُدُرانِ .....
٤٥	تضاريسُ أُولَى .....
٤٨	انتظار .....
٥٠	بغداد .....
٥٤	اللَّعبَةُ .....
٥٦	مزاميرُ ... لما تبقى .....

٦١	الرصف الأخر
٦٥	مرثفة الجهات الأربع
٧١	شفا لكل الفصول
٧٤	لإفنا رفة الشات والرف
٨١	العودة
٨٣	من أراف حنن البفءاء
٩٧	فرفة لأبف فراس
١٠٦	ورق للمرافف
١٠٩	إفها
١١٦	الفهرس

\*\*\*

## هذا الكتاب

مجموعة شعرية تظهر الشاعر قائداً فكرياً  
سلاحه كلمة حرة تجسده مرارة الواقع وانكساراته  
وتذكر بأمجاد الماضي والنقاط المضيئة فهي في  
محصلتها تحمل طابع التحريض على رفض الحاضر  
الانهزامي واستعادة أمجاد الماضي دون اجترار  
التعلل بما كان بل استعداداً لما سيكون على أساس من  
الرؤية السليمة التي تستند على حضارة عميقة في  
التاريخ بعيداً عن المباشرة التحريضية.

rr

## رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

رحلة الولد السومري: شعر/ أجود مجبل الخفاجي-  
دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠ - ١٠٩ ص ؛  
٢٠سم.

٢- العنوان

١- ٨١١,٩ خ ف ا ر

٣- الخفاجي

مكتبة الأسد

ع- ٢٠٠٠/٧/١٢٢٠

၄၄

- ၂၂၂ -